التوازى الصرفى " توازى الأفعال"

إعـــداد
أ/ سمر سيد عيد يوسف

مقدمة

يتناول هذا البحث ظاهرة التوازي الصرفي لدى ابن زمرك الأندلسي "٧٣٣هـ/ ٧٩٧هـ" وسوف ينصب اهتمامنا حول دراسة الأفعال المتوازية صرفيا عبر أبيات القصيدة، وسوف نعرض من خلال هذه الأفعال مدى أهمية هذه الظاهرة الفنية ودورها في إنتاج موسيقى داخلية لها دور كبير في التأثير على النص الأدبي، وأيضا مدى تأثير هذه الظاهرة على الجانب الدلالي. حيث إن التوازي ذو أثر فعال في نقل التجربة إلى المتلقي، والتعبير عما يجيش بالشاعر من ~أفكار ورؤى سياسية واجتماعية ونفسية، وسوف يعتمد البحث على المنهج الإحصائي التحليلي، كما أن ذلك البحث يكشف عن نسبة حضور التوازي وأهميته عبر أبيات ديوان الباقية والمدرك، لذا سوف نعرض في الورقات القادمة توازي الفعل المضارع ونسبة حضوره وما دلالات توظيف الشاعر لذلك الفعل، ثم ننتقل لنعرض توازي الفعل الماضي وبعدها توازي فعل الأمر عبر الأبيات ودور هذه الأفعال في خلق توازيا صرفيا عبر الأبيات، ومن خلال ذلك سوف نستنتج أهم الملامح الإبداعية لابن زمرك الأندلسي وملامح الصياغة الجمالية لقصائده الشعرية.

المبحث الأول: التوازي الصرفي الأفقي

التوازي الصرفي Morphology parallelism:

يتمثل التوازي الصرفي في تكرار صيغ وبنى لفظية متشابهة على المستويين الأفقي والرأسي.

تتراوح هذه الصيغ بين اسم الفاعل واسم المفعول والأفعال المتمثلة في الأمر والماضي والمضارع. كل هذه الأشياء تأتي في أماكن تحقق أكبر قدر من التوازي الصرفي، التوازي الذي يعزز الجانب الإيقاعي والدلالي للنص.

مع العلم أن ذلك التوازي "يتكئ على لزوم بنى لفظية وأنساق تركيبية ذات صفات متشابهة وصيغ وزنية متساوية متمثلة في الناحية المورفولوجية والأبنية الشكلية، مع الوضع في الاعتبار أننا ننظر إلى ما آلت إليها الصيغ الصرفية، وليس إلى أصلها، أو ما كان عليه جذرها".(١)

ونعلم جميعنا كيف كانت عناية قدماؤنا الأوائل باللغة، ودراسة طبيعتها وخواصها، مما نتج عن تلك العناية ما عرف بعلم اللغة Linguistics الذي كان من علومه علم الصرف أو علم المورفيمات غير أن الدراسات التي جمعت بين التوازي والصرف في العصر الحديث دراسات نادرة، على أن المتأمل في أي ديوان أو قصيدة شعرية يجدها حافلة بالصيغ الصرفية المتساوية؛ لأن كل قصيدة عادة ما تحمل غرض معين توجهه إلى القارئ وتحرص على تنبيه إليه، ودعوته في المشاركة والتفاعل معها؛ بشرط الوصول إلى نقطة معينة يريدها الأديب، مع العلم أنه تطورت تلك الأغراض مع التطور، الذي فرضه التطور الحضاري على الطبع والصنعة، فضلا عن التطور الزمني والتاريخي، ونلاحظ أن شعراء الأندلس في بداية النهضة كانوا في حالة محاكاة لشعراء المشرق، ثم تحولت هذه المحاكاة إلى علاقة تفاعل أخذ وعطاء.

---

(١) د.محمد دياب، البنيات المتوازية في قصيدة الآداب والسنة، ص٦٥.

ومن خلال منهج الاستقراء الإحصائي في ديوان ابن زمرك وُجَدَ أن ابن زمرك الأندلس أكثر من التوازي الصرفي، على المستويين الأفقي والرأسي في حكمه منضبطة وشكل متميز جذاب، يدعو الباحث إلى اقتناصه والسير وراءه حتى يخرج منه الدلالة المرجوة منه.

وقد وصل عدد الأبيات المتوازية صرفيًا في الديوان إلى ٢٠٥٥ بيت، بنسبة ٢٧,٣% من عدد الأبيات.

المبحث الأول: التوازي الصرفي الأفقي:

أولاً: توازي الأفعال:

تمثل ذلك التوازي في أفعال الماضية والمضارعة وأفعال الأمر، مع تباين نسب ورود هذي الأفعال.

الفعل	عدد مرات وروده متوازيًا
المضارع	٧٠٨ مرة
الماضي	٥١٣ مرة
الأمر	٥١ مرة

لقد توازت جل الأفعال وأن أكثر ابن زمرك من الأفعال المضارعة، تأتي بعدها الأفعال الماضية ثم الأمر.

وقد مزج الشاعر بين الزمن الماضي والزمن المضارع، كل ذلك له علاقة بدلالة الأزمنة ودلالة الديوان.

إن أغلب قصائد الديوان في المدح والفخر ثم الغزل، وهذه الأغراض تتناسب مع دلالة زمن الفعل المضارع كما سنوضح فيما يلي:

أ) توازي الفعل المضارع:

لقد بلغ عدد الأفعال المضارعة المتوازية في الديوان إلى ٧٠٨ فعل، وذلك على المستوى الأفقي، مع تنوع ورود هذه الأفعال في البيت الواحد وعلى مستوى القصيدة.

ومن أمثلة توازي الفعل المضارع قول ابن زمرك:

تُتْلَـــى عَجَائِبُهَـــا لِكُـــلِّ مُوَحِّـــدٍ فَتَكَـــادُ أَعْـــوَادُ الْمَنَـــابِرِ تُزْهِـــرُ(١)

تظهر عاطفة الشاعر في البيت من خلال الوصف الذي يصف به العيد، وقبل وصف العيد والاحتفالات يذكر محاسن الغني بالله؛ حيث إن المنابر قد تكون تضيئ وتزدهر من شدة عجائبه وانتصاراته، فلذلك يأتي العيد مليئ بالفرحة والبهجة.

ومع ذلك الوصف يظهر التوازي في البيت الذي أدى الدلالة المرجوة منه من خلال تحقيق أكبر قدر من التكامل في معنى البيت، حيث ظهر التوازي الصرفي بين لفظتين (تُتلي – تزهِرُ).وقد جاء التوازي في موقع فريد للغاية، فجاءت الكلمة الأولى "تُتلي" في صدر الشطر الأول، والكلمة الثانية "تزدهر" في عجز الشطر الثاني، والملاحظ أن الكلمتين تنتميا إلى الزمن المضارع، ذلك الزمن الذي يحوي عدة دلالات، أبرزها الاستمرار والتجدد، حيث إن تلك العجائب تتلى في كل زمان ومكان، بالإضافة إلى أنه له العديد من المزايا التعبيرية نذكر منها:

يجعل الزمن المضارع الأفكار أوثق بمكانها وزمانها، ويعمل على حضور الأشياء، ويؤكد على وجود الأحداث.(١)

---

(١) الديوان، الكامل، ص٤٣، للاستزادة: ا: ٤٥، ٤٦، ٤٨.

يمكنه أن يخلق تفاعلاً مباشراً مع المتلقي بحكم دلالته الأنية الحاضرة، التي تجعل المتلقي دائم التركيز والانتباه.

يساعد الزمن المضارع بنصيب كبير في عملية الإقناع، وذلك لسرده أحداثا حية حاضرة تبعد عن المتلقي أي شكوك قد تحوم حول الموضوع المطروح(١).

لذا نرى ابن زمرك استطاع توظيف الفعل المضارع توظيفا صحيحا.

٢) هناك توازٍ صرفي وقع بين حشو الشطر الأول مع عجز الثاني ومن أمثلته قول ابن زمرك:

وَمِثْلِـــــــيَ لَا تُغَيِّـــــــرُهُ اللَّيَـــــــالِي وَغَيْـــــرِي بِالْخِيَانَـــــةِ مَـــــنْ يَسُـــــودُ(٢)

هذه القصيدة تختلف عن معظم قصائد الديوان من حيث الغرض الذي قيلت فيه، فقد كان ابن زمرك يجيب في هذه القصيدة عن رسالة للفقيه أبي القاسم بن حاتم عن عتاب موجه إليه.فبعد أن فرغ الشاعر من وصف شعره ومكانته يبدأ في وصف أخلاقه، وهو يقول هنا: أن مهما كانت ظروفه وما يمر به من صعاب وأزمات على مر الليالي والأيام، فهو لا يتغير؛ لأنه لديه قيم ومبادئ مختلفة عن أي شخص، في حين شخص آخر نجده أول ما يتعرض لشيء يوقع به ويغيره، لذلك غير الشاعر يأخذ مكانة عن طريق الخيانة التي هي أسوء الأشياء، فهو بذلك يهجم هجوما مباشرا صريحا على أبي القاسم.

وقد استخدم الفعلين المضارعين في أماكن متوازية عبر الشطرين لكي يؤكد الدلالة التي يرجوها من البيت، وهي تأكيد المقابلة بين حالتين متضادتين حالته

---

(١) د.محمد العبد، بحوث في الخطاب الإقناعي، دار الفكر العربي، "د.م"،١٩٩٩.م، ص٦٩.

(٢) الديوان، الوافر، ص٢١٦.

وحالة غيره، كما أن التوازي وسم البيت بشيء من إيقاع ونغم مميز، وإن كانت قيمة التوازي تحققت هنا على الجانب الدلالي أكبر من الجانب الموسيقي.

وقد تقع الكلمتان المتوازيتان متجاورتين في البيت ومن ذلك قول الشاعر:

لَهَا هِزَّةٌ فِي الْكَأْسِ مِنْ طُولِ عُمْرِهَا وَمَنْ طَالَ مِنْهُ الْعُمْرُ يَضْعُفْ وَيَرْعُشِ(١)

إن ذلك البيت حوى أكثر من جانب جمالي، وهذا يعني أن الشاعر كان يميل إلى دمج الصور الفنية معاً، وذلك خير دليل على أن التوازي يشمل جميع مستويات البنية الشعرية، فهو شامل لبنية النص كلها؛ لذا يوجد في البيت الواحد بشكل متماسك يعمق من الدلالة ويزيد من حدة الإيقاع، وتلكم البيت به ترديد بالإضافة إلى التشبيه ناهيك عن التوازي الصرفي المتمثل في تجاور الكلمتين المضارعتين معاً "يضعف ويرعش"، وقد أدى تجاور الكلمتين إلى بروز التوازي، حيث إن تجاورهما فى عجز البيت يؤدي جرساً موسيقياً قويا، وعلى صعيد الجانب الدلالي أدى التوازي دوره، فقد قام بتأكيد الترادف في المعنى اللفظين، حيث إن كلا الصفتين يكونا نتاجا طبيعيا لطول العمر، فمع طول عمر الإنسان يبدأ الإنسان في الضعف الجسماني، الذي يصبه رعشة ف اليد، وهذه أعراض شيخوخة يشبهها الشاعر بحال شارب الخمر.

ومن طريف التوازي ما جاء عبر صدر الشطر الأول مع صدر الشطر الثاني، ومن هذه الأمثلة قول ابن زمرك:

تَرَى الْحُدَاةَ فِي السُّرَى تَحْدُو بِهِنَّ الظُّعُنَا(٢)

---

(١) الديوان، الطويل، ص١٥٧.

(٢) الديوان، مجزوء الرجز، القافية مطلقة، ص١٥١.

ويلاحظ من خلال الإحصاء أن الشاعر أكثر من توازي الفعل المضارع، مما نجد تفوق الزمن المضارع في الديوان على بقية الأزمنة، وتلك النسبة ليست مجرد إحصاء فقط، بل هي توحي بدلالات معينة، فالشاعر يتحدث عن الزمن الحاضر في مواضع معينة رغم أنه يتحدث ويصف لنا ذكريات سابقة، فكأن الشاعر يريد أن نعيش معه ذلك الزمن أي زمن الغني بالله، ذلك الزمن الذي يتسم بالرفاهية والعزة والانتصارات، مع ملاحظة أن شاعرنا عمل على توظيف الزمن المضارع؛ إذ إنه توخى الوضوح والتلاحق في الخطاب، فهذا الفعل جعل القارئ يشعر بسرعة الحدث، ومن خلال تكرار الفعل المضارع في أماكن متناظرة ظهر التوازي الذي ربط معنى الشطر الأول بالشطر الثاني، كما أن تكرار الصيغتين الصرفيتين في أماكن متناظرة أدى إلى تعميق الإيقاع.

وجاء الفعل المضارع ثلاثيا فلم يقتصر الشاعر على الثنائي فقد ومن ذلك قول ابن زمرك:

يَشِـــفُّ بَيَـــاضُ الْقَلْـــبِ عَمَّـــا بِقَلْبِـــهِ وَيُمْسِـــي سَـــلِيمَ الصَّـــدْرِ لَا يَتَعَتَّـــبُ(١)

إن الشاعر في البيت يتحدث عن السلطان عبد العزيز "سلطان المغرب"، فهو يمدحه مدحًا مميزاً يتمنى أي شخص أن يسمعه، فهو يصفه بالقلب الأبيض، فمن شدة بياض قلبه البياض يشف من صدره، فهو لا يحمل بداخله حقد أو حسد أو كره من أحد.

والبيت يحمل ثلاثة أفعال مضارعة جاءت بشكل متوالٍ متوازٍ مع حمل كل فعل دلالة تكاد تقترب من الدلالة الأخرى عند تأمل معنى البيت العام أو الغرض الذي يقصده الشاعر، كما أن مجيء الكلمات بشكل متوازٍ على تلكم

(١) الديوان، الطويل، ص١٦١.

النحو، زاد من حدة الإيقاع الموسيقي وعمق الدلالة، كما حرص الشاعر على تكرار الأصوات المهموسة؛ كي تتناسب مع الدلالة، فكأنه يريد أن يصف ببطء جمال خلق السلطان ويهمس في أذن السامع بهدوء.

ب) توازي الفعل الماضي:

من خلال استقراء مجيء الأفعال المتوازية في الديوان، وُجَد أن عدد مرات مجيئ الفعل الماضي متوازياً عبر الديوان ٥١٣ مرة، مع اختلاف مواضع مجيء الفعل عبر البيت الواحد.

ومن أمثلة توازي الفعل الماضي قول ابن زمرك:

رَقَّـــتْ سَـــجَايَاهُ وَرَاقَـــتْ مُجْتَلَـــى كَالشَّـــمْسِ فِـــي بُعْـــدٍ وَفِـــي إِشْـــرَاقِ[١]

هذا البيت من قصيدة طويلة من جياد قصائد ابن زمرك وهو يرثي فيها القاضي أبي القاسم الحسني، وقبل هذا البيت يرثي أمجاد القاضي ويرثي آل بيته.وقد وظف الشاعر في البيت أكثر من شيء، فهناك الجناس الناقص بين كلمتي "رقت – راقت" بالإضافة إلى تكراره لحرف "القاف" ثلاث مرات، وصوت القاف من أصوات القلقلة، تلك الأصوات التي تتطلب عند النطق بها نوعاً من الارتكاز على مخرج الصوت؛ لكي تتوافق مع رغبة الشاعر الملحة في تأكيد وطرح قضيته.أما عن استخدامه للفعل الماضي فهذا يتناسب مع موضوع القصيدة، فهو يتحدث ويصف أشياء في الماضي ذلك الماضي الذي لا يتغير ولا يتجدد لذا توخي الزمن الماضي، وجاء التوازي في الشطر الأول، ولم يفصل بين الكلمتين سوى كلمة واحدة فكأن الشاعر يريد أن يعطي المتلقي الجانبين الدلالي والموسيقي معا في نفس الآن.

---

[١] الديوان، ص

ومن أمثلة التوازي ما وقع بين طرفي الشطر الأول قول ابن زمرك:

أَبْـــدَتْ لَنَـــا سَـــبَجَ الْعُيُـــونِ وَطَوَّقَـــتْ أَرْجَاءَهَـــــا بِعَقِيقَـــــةٍ حَمْـــــرَاءِ(١)

يصف الشاعر رحلة الصيد، التي قام بها الغني بالله.وجمع الشاعر في البيت بين التوازي الصرفي والدلالي المتمثل في التشبيه، حيث شبه عيون الطير بالحرز الأسود، وجاء التوازي الصرفي بين طرفي الشطر الأول.

فقد تكرر الفعل الماضي في صدر الشطر الأول المتمثل في كلمة "أبدت" وعجزه المتمثل في كلمة "طوَّقت" وقد أتى الفعل الماضي في موضعه الملائم لموضوع القصيدة، فالحديث عن الرحلة حدث انتهى يريد الشاعر أن ينقله إلى المتلقي كما هو، مع استعماله لمجموعة من الرموز التي تساعده في نقل ذلك المشهد، مع العلم أن الرمزية ظاهرة فنية في الشعر عامة، وقد أدى التوازي هنا دوره على أكمل وجه؛ حيث عمل على إبراز التكامل بين الكلمتين الذي أدى إلى التكامل في المعنى، وأدى دوره الموسيقي فوسم البيت بموسيقى عالية ونغم رقيق هادئ، يحسن السامع الوقوف أمامه.

ومن التوازي الصرفي ما جاء عبر الشطرين قول ابن زمرك:

اللَّـــــهُ أَعْطَـــــاكَ الْكَمَـــــالَ سَـــــجِيَّةً وَحَبَـــــاكَ بِـــــالْفَخْرِ الَّـــــذِي لَا يُجْهَـــــلُ(٢)

إن الشاعر نزل عند الغني بالله، وقد قدم له ضروبا من الأطعمة لا توجد أمثلتها بدار غيره من الملوك، فقام مستخدماً بنية السرد بوصف المائدة التي قدمها له، وبعد أن فرغ من الوصف مدحه في نهاية القصيدة وقال له: أن الله عز وجل

---

(١) الديوان، ص

(٢) الديوان، الكامل، ص١٠٢، للاستزادة، ا: ص٩٤، ٩٦، ١٠٠.

أعطاك الكمال وهو يقصد به الكمال المادي والكمال المعنوي وجعلها فيه طبيعة خلقه الله بها، ومنحه فخر يفتخر به أي شخص وليس أحد يستطيع أن ينكره أو يغفل عنه.

ومن ثم تنهض القصيدة كلها على علاقة وصف يفضي إلى تكامل في الغرض الذي يريد الشاعر أن يتوجه به إلى المتلقي.

وقد غلب على القصيدة استعمال مفردات قريبة من بعضها في الدلالة.

فكلمة "أعطي" ترادف كلمة "حباك" بالإضافة إلى المفردات المستمدة من المعجم الشعري نفسه، وإن كانت كلها تنتمي إلى تقاليد شعرية موروثة مثل استعماله في الوصف كلمتي، (الكمال – والفخر).وقد وقع التوازي بين الشطرين بين كلمتي "أعطاك" التي وقعت في بداية الشطر الأول وكلمة "حباك" التي وقعت في بداية الشطر الثاني، وقد قام التوازي هنا بدور دلالي بين وهو تأكيد الترادف بين الكلمتين.وأن كان الشاعر استخدم الفعل الماضي في موضع كان الأفضل فيه أن يستخدم الفعل المضارع، لكن هذا على المستوى السطحي للنص، أما عند التأمل في باطن النص نجده يتحدث عن أشياء تكون موروثة مع الشخص وليست مستحدثة فيه، فهي سجية بطبعها، وهذا يدل على عراقة أصله.ومن ناحية أخرى قام التوازي بتحقيق دور إيقاعي كبير؛ لأنه جاء بين الشطرين فكان له وقع موسيقي هائل، موسيقي توحي ببهجة وفخر من الشاعر تجاه ممدوحه.

ومن ثم فإننا من خلال هذه الأمثلة القليلة استطعنا أن نوضح دور التوازي من الناحيتين الإيقاعية والدلالية.كما أن توازي الفعل الماضي يعد من الأفعال التي استخدمها الشاعر في مواضع مختلفة من القصيدة؛ لكي يبث من خلاله رؤيته للعصر الذي يعيش فيه، ومن ثم يسمح الفعل الماضي بدلالته الزمنية على حدث تم وانتهى أن يشكل موقف الشاعر، هذا الموقف الذي يتراوح بين موقف ذاتي وآخر جماعي، فهو في كثير من الأحيان أو يتحدث عن موضوعات تخص الحاكم "الممدوح" وهذه موضوعات جماعية اجتماعية لا بد أن يشارك فيها كافة الأفراد، في

حين يتحدث عن غزل أو عطايا خاصة به يتحدث عنها من منظور ذاتي فردي.

ج) توازي فعل الأمر:

قد توازى فعل الأمر عبر شطر واحد، وعبر شطري البيت، وقد أخذ ذلك أكثر من موضع.إلا أنه من خلال المنهج الإحصائي ظهر لنا أنه لم يرد إلا بندرة في الديوان – حيث لم يرد سوى أن ٥١ مرة في أماكن متوازية وهذا الأمر شيء بديهي، حيث أن أغلب قصائد الديوان قيلت في المدح ثم الغزل والفخر وهذه الأغراض دلالتها تتنافى مع دلالة فعل الأمر.

ومن أمثلة توازي فعل الأمر قول ابن زمرك:

فَاهْنَـــأْ بِمُلْكِـــكَ وَاعْتَمِـــدْ شُـــكْرًا بِـــهِ لُطْـــفَ الْإِلَـــهِ وَصُـــنْعَهُ تَتَخَـــوَّلُ(١)

وقع التوازي هنا في الشطر الأول، فقط جاءت الكلمة الأولى "أهنأ" في صدر الشطر الأول، والكلمة الثانية "اعتمد" في حشو الأول. حيث إن الشاعر يتحدث عن السلطان يوسف الثاني، والحجاج الذين يذهبون إلى الحج يدعون له بالنصر ودوام ملكه، ولذلك يقولون له أهنأ واعتمد أفعال أمرية غرضها الالتماس والنصح له.كما أن التوازي أدى دورا موسيقيا هائلا في البيت نتيجة تجاور الكلمتين، بالإضافة إلى أن ذلك التجاور أثر الدلالة بالمعنى، فالشاعر يريد سرعة في الطلب.

*** ومن أمثلة توازي فعل الأمر في عجز الشطر الثاني قول ابن زمرك:**

أَمَّـــا سُـــعُودُكَ فِـــي الْـــوَغَى فَتَكَفَّلَـــتْ بِسَـــلَامَةِ الْإِسْـــلَامِ فَاخْلُـــدْ وَاسْلَـــمِ(٢)

---

(١) الديوان، الكامل، ص٤٦٨.للاستزادة، ا: ص٥٠٠، ٥٠٩، ٥١٣، ٥٤٧.

(٢) الديوان، الكامل، ص٤٨٦، للاستزادة، ا: ٤٨٩، ٥٠٠.القافية مطلقة مكسورة.

إن الشاعر في هذه القصيدة يتحدث عن النصر، الذي أحدثه الأميرين "سعد ونصر" رحمة الله عليهما. فبعد أن ينتهي الشاعر من وصف الخيول وآلات الحرب والجنود، ويصف شجاعة الأميرين، يقول أن سعوده في الحرب اهتمت بسلامة الإسلام والحفاظ عليه، فكان فعلاه الأمر "أخلد وأسلم" نتيجة لما تقدم؛ فالبقاء والخلود والسلام نتيجة لما عم البلاد مما فعله من إنجازات في الحرب.

وقد أدى وقوع التوازي في عجز الشطر الثاني إلى تأكيد المعنى الذي أراده الشاعر، حيث إن الكلمتين المتجاورتين مترادفتان من جهة، ومن جهة أخرى أدى التوازي جرسا موسيقيا قويا حيث إن "تجاور لفظين في العجز يؤدي جرسًا موسيقيًا هائلا، كما يعمل على سهولة استخراج القافية...".(١)

*** ومن أروع أشكال التوازي هو مجيئ فعلي الأمر في صدر الشطر الأول مع صدر الشطر الثاني، ومن ذلك قول ابن زمرك:**

فَاهْنَـأْ بِمَـا شِـئْتَ مِـنْ صُـنْعٍ تُسَـرُّ بِـهِ وَانْـــوِ الْأَمَـــانِيَّ بِالْأَقْـــدَارِ تُدْنِيهَـــا(٢)

أن تلكم القصيدة مدحية عيدية، فهو يهنئه ببعض المواسم العيدية، ويصف بجانب ذلك، كرمه وآثار ملكه وجهاده، إن الأمر البديهي الواضح في شعر ابن زمرك أنه كان يختار المفردات والألفاظ الرقيقة السهلة، ويبتعد كثيراً عن التكلف والصنعة كأن ذلك الشيء يعكس البساطة في الحضارة التي كانت تسود في تلك الفترة، في حين نجد ابن الخطيب ينوه بشاعرية ابن زمرك، وقال عن شعره أنه "مترام

(١) د.محمد دياب، البنيات المتوازية، ص٦٨.

(٢) الديوان، البسيط، ص٥٠٥، القافية مطلقة.

إلى هدف الإجادة، خفاجي النزعة، كلف بالمعاني البديعة والألفاظ الصقيلة، غزير المادة".(١)

حيث إن الشاعر يقيم النغمة الإيقاعية من ألفاظ تتكون من أصوات متشابهة سهلة، وذلك التشابه يزيد من الموسيقى الذي تفضي إلى بروز نغمة موسيقية متوازية، ومن ناحية الدلالة، أدى التوازي إلى التكامل في المعنى، فهو يقول له اهنأ واسعد بما فعلته من نصر وتشييد وتعمير.وقد جمع الشاعر في البيت بين أكثر من تواز مع التوازي الصرفي، فهناك التوازي النحوي الناقص، بالإضافة إلى التوازي الصوتي المتمثل في تكرار أصوات بعينها، مثل صوت النون الذي تكرر ست مرات، ذلك الصوت الذي يكون له دورا موسيقيا هائلا في صنع نغم موسيقي تطرب لسماعه الأذن، وأيضا صوت الهمزة.

كل ذلك أدى إلى ظهور نغمة موسيقية مميزة ساهمت في ظهور المعنى، فكأن الشاعر يريد أن يرسم أمامنا صورة ملموسة نستطيع من خلالها أن ننتقل إلى العصر الأندلسي ونعيش فيه، فكأن الأصوات أشخاص تتحرك في البيت داخل سياق مسرحي نراه ونشاهده.

وقد جاء فعل الأمر ثلاثيا في البيت الواحد ومن ذلك قول ابن زمرك في إحدى قصائده:

قُــلْ لِلسَّــحَابِ اسْــحَبْ ذُيُولَــكَ نَحْــوَهُ وَالْعَــبْ بِصَــارِمِ بَرْقِــكَ الْخَفَّــاقِ(٢)

إن هذا البيت مرثية من مَراثي ابن زمرك فقد قال هذه القصيدة يرثي فيها القاضي أبي القاسم الحسني، وابن زمرك عندما يتحدث عن الرثاء فهو خير من

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢، ص٢٢٣.

(٢) الديوان، الكامل، ص٤٤٧، للاستزادة: ٥٠٢.

يرثي، فقد وصفه ابن الأحمر بأنه مكثر في مسائل الفقه ومعرفة الأصول ومعرفة المنطق، كل هذي الأمور تساعده في إخراج قصيدة رثاء على درجة عالية من الجودة.(١) حيث إن الشاعر في البيت يرسم صورة للسحاب مغايرة لما هو عليه يتخيل السحاب إنسانا يتطلب منه أن يسحب ديوله نحوه على سبيل المجاز.وقد جاء فعل الأمر هنا ثلاثياً، وهذا زاد من حدة النغمة الموسيقية، كما أن الشاعر استعمل صوتا ملائما للغرض وهو الرثاء استعمله في القافية، وعمل على تكراره بشكل متوازٍ وهو صوت "القاف" الذي من صفاته أنه من أصوات القلقلة التي تساعد الشاعر في التأكيد عليها حين النطق بها، ذلك التأكيد الذي يتناسب مع طرح قضيته، ذلك الصوت الذي تضافر مع أصوات السين المهموسة، والهمس يتناسب مع موقف الرثاء.فالشاعر على مستوى سطح النص يعبر عن تماسكه وتماسك مشاعره وتحدثه عن انتصاراته، أما المتأمل في باطن النص وبالنظر إلى المعنى الخفي على القارئ، نجد الشاعر في حالة فتور وحزن ويأس على موت القاضي، كل هذي المعاني ساهم التوازي في خلقها ولولاه لم نكن ندركها ونتفاعل معها.

خلاصة:

من خلال تلكم العرض البسيط لهذه الأمثلة، نجد تفوق الزمن المضارع على بقية الأزمنة يأتي بعده الزمن الماضي، في حين لم يرد الأمر إلا بالنسبة ضئيلة، وذلك يتناسب مع أغلب موضوعات الديوان.مع الأخذ في الاعتبار أن هذه النسب ليست مجرد إحصاء فقط، بل توحي بدلالات داخل الديوان، ومن ثم توخي الشاعر لزمن بعينه ليس أمرًا اعتباطيًا بل بوعي منه، فحينما نجده يكثر من الزمن المضارع، لأنه يريد أن يشمل مدحه ويمتد على مر العصور، ويصف حالات البناء والتشييد التي سوف تساهم في بناء الدولة وتقدمها، ولعل أحد يأخذ بعين الاعتبار ويسير على منهجه.

---

(١) للاستزادة حول صفات شعر ابن زمرك انظر ديوان الباقية والمدرك، ص١٩، أزهار الرياض، ص٣٢٧.

الخاتمة:

من خلال ذلك البحث خرجنا بمجوعة نتائج أهمها:

كثرة التوازي الصرفي بأفعاله عبر الديوان.

يعد التوازي الصرفي من أهم العناصر التي وظفها الشاعر في خلق موسيقى داخلية ساهمت في تقوية المعنى وتأكيده.

أكثر ابن زمرك من استخدام الأفعال المضارعة وكان ذلك ذو دلالة كبيرة أهمها الملاءمة مع موضوع الديوان بصفة عامة.

استطاع الشاعر من خلال التوازي الصرفي أن يحقق انسجاما إيقاعيا وتماسكا دلاليا لقصائده.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١) ديوان ابن زمرك الاندلسي، ت/محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط١، ١٩٩٧م.

ثانيا: المراجع:

٢) ابن الأثير (نصر الله بن محمد الشيباني)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ.

٣) الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحي)، البيان والتبيين)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤١٣هـ.

٤) الجرجاني (الامام عبد القاهر الجرجاني)، اسرار البلاغة، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٣.

٥) الحموى (ابن حجة الحموى)، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.

٦) الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

٧) الخطيب القزوينى، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد القادر، بيروت، لبنان، ١٤٣٠ هـ

٨) ابن دحي الكلبي، المطرب في أشعار أهل الأندلس، تحقيق مصطفي عوض الكريم، الخرطوم، ١٩٥٧.

٩) الدمنهوري (السيد محمد الدمنهوري)، الحاشية الكبري علي متن الكافي في علمي العروض والقوافي، مكتبة السيد محمد الطوبي، القاهرة، ١٣٣٣ هـ

١٠) الذهبي (شمس الدين) تاريخ ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٩٣.

١١) الزركلي (خير الدين)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١،

.١٩٩٠

١٢) القزويني (محمد بن عبد الرحمن ابو المعالي)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، ١٤٣٠ هـ.

١٣) القيرواني (ابن رشيق) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨١.

١٤) ابن الكتاني الطيب، تشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق: احسان عباس، دار الشرق، القاهرة، ط٢، ١٩٨١.

١٥) ابن المعتز، البديع، تحقيق: المستشرق أغناطيوس كراتشقوفسكي، لينغراد، ط١، د،ت

ثالثا: المراجع الحديثة:

١٦) ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٥٢.

١٧) أحمد كشك، التدوير في الشعر، دراسة في النحو والمعني والدلالة، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣.

١٨) سعد مصلوح، في النص الأدبي، دراسة أسلوبية إحصائية، القاهرة، ١٩٩٣

١٩) سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، محاولة لانتاج معرفة علمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

٢٠) عبد الواحد حسن الشيخ، البديع والتوازي، جامعة الاسكندرية، مكتبة الإشعاع، ط١ ١٩٩٩.

٢١) محمد دياب محمد غزاوي، شعر الطليق المرواني، جمع ودراسة وتحقيق، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط١، ٢٠١٧.

رابعًا: الكتب المترجمة:

٢٢) أرشيبالد ماكليش، الشعر والتجربة، ترجمة: سلمى خضراء الجيوشي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، آفاق الترجمة، ١٩٩٦.

٢٣) إميليوغرسيه غومث، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ترجمة وتعريب: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٣.

خامسًا: المجلات والدوريات:

٢٤) شعيب حليفى، النص الموازي في الرواية (استراتيجية التناص)، مجلة الكرمل، العدد ٣٦، ١٩٩٢.

٢٥) عبد الجبار علوي، بنية التوازي في شعر البارودي، جامعة باتنة، مجلة آفاق العلوم، العدد العاشر.

٢٦) محمد دياب، البنيات المتوازية في قصيدة الآداب والسنة للشاعر عبد الله الاندلسي، مجلة كلية الآداب، يناير ٢٠١٧.

٢٧) محمد صلاح ابو حميدة، بنية التوازي في ديوان (هات لي عين الرضا، هات لي عين السخط) للشاعر علي الخليلي، ٢٠١٤.

سادسًا: المعاجم:

٢٨) السيد محمد مرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: ضاحي عبد اللطيف، عبد اللطيف محمد، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ٢٠٠١.

٢٩) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، د.ت.

٣٠) ابن منظور المصري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

سابعًا: الرسائل الجامعية:

٣١) إنصاف عبد الله الحجابة، التوازي التركيبي الصرفي في القرآن الكريم "دراسة في الأساليب النحوية" دكتوراة، جامعة مؤتة كلية الدراسات العليا.

٣٢) حمانيي صبيحة، الإيقاع الداخلي في ديوان الرماد لعبد الله شريط، ماجستير، جامعة إكلي كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ٢٠١٤، ٢٠١٥.

٣٣) حميد يعقوب، قصيدة الشعر العراقية "دراسة في جماليات التشكيل الإيقاعي"، ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣.

٣٤) رشيد بديدة، البنيات الأسلوبي في مرثية بلقيس، ماجستير جامعة الحاج خضر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ٢٠١١، ٢٠١٢.
٣٥) شريف بو شارب، ظاهرة الترادف والاشتراك اللفظي في كتابي الفروق اللغوية وفقه اللغة "دراسة لسانية تداولية"، ماجستير، جامعة محمد لمين دباغين، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، ٢٠١٥.
٣٦) عبد الله خليل الحياني، التوازي التركيبي في القرآن الكريم، ماجستير، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغ العربية.
٣٧) العربي عبد الله، بلاغة التوازي في السور المدنية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران الجزائر (٢٠١٤-٢٠١٥)
٣٨) محمد عبد الرحمن، بنية القصيدة عند سعيد الصقلاوي "اللغة والصورة"،جامعة الفيوم، كلية دار العلوم، ٢٠٠٧.
٣٩) يوسف بديدة، جماليات التوازي في شعر نزار قباني، نحو مقارنة سيميائية أسلوبية، جامعة الحاج خضر.